نظرة

﴿ في كتب العهد الجديد وفي عقائد النصرانية ﴾

﴿ تابع ما قبله ﴾

لهذا كله كان اليهود معاصروه يرون أنفسهم أرقى منه علما ونفسا وأخلاقا وتدينا (١) وما كانت تعجبهم أحواله وأعماله حتى كانوا يعيرونه بكثرة شرب الخمر وحب الخطاة كما سبق (لو ٧: ٣٤) وأما محمد صلى الله عليه وسلم فلم ير فيه معاصروه أدنى عيب ولم يطمع أحد منهم في مسابقته في العلم والفضل ، والكمال والعقل ، والصدق والاخلاص ، والصلاح والتقوى ، حتى عرف بين مشركيهم من صغره بالأمين والمأمون، وكان لهم نبراس الهدى ومثال الكمال بينهم في كل شيء فقاقهم بمراحل واسعة ، وأما المسيح ـ بحسب هذه الاناجيل ـ لم يفق الوسط الذي كان فيه . هذا كله مع ملاحظة أنه لم ينقل لنا عنه إلا القليل من أخبار حياته ، وأن مدة بعثته كانت قصيرة جدا ، وأن الناقلين لأخباره هذه هم صفوة أتباعه وأخص تلاميذه الذين كانوا ـ كما تقول النصارى ـ ملهمين من الله ، معصومين من الكذب والخطأ والنسيان في كل ما كتبوه عنه . فكيف بعد ذلك يليق بعاقل منصف أن يفضل عيسى على محمد وآداب المسيحية وتعاليمها على آداب الاسلام وتعاليمه ؟ وهو الذي لم ينشر الا التقوى والفضيلة بين الناس، ونص كتابه صريحا ببراءة بعض أنبيائهم مما رموهم به من الكبائر (راجع القرآن ٢ : ١٠٢ و ٢٠ : ٨٧ ـ ٩٠) ولم يذكر من تاريخ الآخرين الا ما فيه عبرة وما به تغذية النفوس بالصلاح والاستقامة وتحسين الاخلاق والآداب بسياج الفضائل ، فلم يندب لهم شرب الخمر ولا السكر به، ولا الخيانة ولا الزنا، ولا الفحش ولا الكذب، ولا التعدي على بناتهم بالفسق فيهن ، ولا عمل الاصنام لامهم ولا الشرك بالله وعبادة غيره الى

(١) هذا الكلام كله مبني على فرض صحة جميع ما في هذه الاناجيل كما قلنا مرارا ، فلا تنس ذلك ، والحق أننا لا نؤمن بها ولا نعبأ برواياتها

غير ذلك مما لا فائدة في نشره عن الانبياء الا إشاعة الفاحشة بين الناس والاستخفاف بالدين ومخالفة أوامره ونواهيه والكفر بالله أو الشرك به وخصوصا لأن كتبهم ذكرت بعض هذه الجرائم ولم تذكر معها ماينفر منها كما ترى في سفر التكوين مثلا ، فللناس أن يقولوا اذا كانت الانبياء لم تقو على الاستقامة فكيف نقوى عليها ونحن أقل منهم في كل شيء ، واذا كان الله لم ينبذهم مع أننا نرى أن بعضهم لم يتب من ذنبه أو كفره فلم نخافه أو نخشاه ؟ ومن ذلك يعلم أن القرآن قد امتاز عن كتبهم بالفضائل وبالآداب العالية وبالحث الكثير على الصلاح والتقوى والتوبة حتى أنه لم يذكر لنبي هفوة الا ذكر معها استغفاره وانابته الى الله وتوبته منها مع أنه لم يذكر عنهم مثل ماذكرته كتبهم عن نوح مثلا (تك ٩ : ٢٠ ـ ٢٧) (١) ولوط (تك ١٩ : ٣٠ ـــ ٣٨) (٢) واسحاق (تك ٢٦ : ٧) ويعقوب (تك ٢٧ : ١٩)

(١) من العجيب أن الله قد أظهر رضاه عن نوح بعد جريمة السكر بأن تقبل دعاءه لأولاده حتى أنه ظلم لأجله حفيده كنعان بن حام وآخذه بذنب أبيه (تك ٩ : ٢٢ و ٢٥) فكيف يطيع الله نوحا لدرجة أن يعول على دعائه على كنعان البريء مع أن الظاهر من قصته أنه ما دعا على كنعان إلا لأنه لم يفق تماما من سكره فلم يميز بين ولده المذنب اليه وحفيده البريء !؟ ولم يذكر في كتبهم أن نوحا تاب من ذنبه هذا، فأي عبرة للناس في هذه القصة سوى انهم يعلمون منها ان الله تقبل دعاء السكران حتى ظلم لأجله حفيده ؟ فليكثر الناس اذاً من شرب الخمر ليكون دعاؤهم مقبولا عند إله النصارى هذا المحب للخمر وشاربيها حتى شبهته كتبهم بالسكران (مز ٧٨ : ٦٥) وامتلأت بذكر سكر الانبياء وإسكارهم لغيرهم وإيجاب تقريبها للرب !! (راجع مثلا تك ٩ : ٢١ و ١٩ : ٣٢ و ٣٣ و ٣٥ و ٢٧ : ٢٥ وخر ٢٩ : ٤٠ ولا ٢٣ : ١٣ و ٢ صم ٦ : ٩ ، و ١١ : ١٣ ويو ٢ : ٧ ـ ١٠ ومت ٢٦ : ٢٧)

(٢) يقول بعض المتغذرين عن سيئات كتبهم وأنبيائهم ان جريمة لوط سكره وزناه بابنتيه (تك ١٩ : ٣٠ ـ ٣٨) ـ هي منحصرة في السكر فقط لأنه ارتكبها وهو لا يعي شيئا والحكمة عندهم في ذكر هذه القصة هي اظهار درجة قبح شرب الخمر وبيان ماتؤدي اليه ، مع ان القصة ذكرت في كتبهم كأنها أمر عادي وكأن لوطاً لم يرتكب منكراً حتى لم يذكر أن الله وبخه أو عاقبه على ذلك أو أنه تاب من ذنبه ، بل قال ان ابنتيه حبلتا من هذا الزنا ومنهما تناسل بعض الامم (الموآبيين وبني عمون) وبعد =

= ذلك سماه الكتاب المقدس بارا (٢ بط ٢: ٧-٩) فأي عبارة أتى بها الكاتب في قصته هذه لبيان شناعة هذا العمل الفظيع واستقباحه له أو وجوب التوبة منه ؟ ومن من الناس يجهل مضار الخمر وهي عند السكيرين أنفسهم أم الخبائث وكلهم يعرفون ذلك ويعترفون به ويضعف ارادتهم عن تجنبها فما فائدة هذه القصة اذاً ؟ ولماذا لم ينتخب الكاتب حادثة أخرى من التي وقعت على أيدي أحد الاشرار السكيرين — وهي كثيرة في كل زمان ومكان — بحيث تكون العبرة فيها أظهر وأوضح لبيان شناعة الخمر وقبحها وضررها اذا صح أن هذا هو حقيقة غرض الكاتب من ذكر هذه القصة ؟ أما كان الأولى بكتبهم أن لا تبيح لهم الخمر ولا تأمرهم بشربها بدلا من ذكر هذه القصص الساقطة ؟ ! أو لا يشعر الانسان عند قراءتها انها تجرئ الاشرار الادنياء لارتكاب أفظع المنكرات أكثر مما تزجرهم عنها؛ لانه اذا كان لوط نبي الله الذي اختاره الله لوحيه وكلامه ولارشاد الناس لم يقدر على منع نفسه عن السكر وأقبح الفسق فكيف بهم وهم من أضعف المخلوقين ؟ وكيف يقدرون على ما لم يقدر عليه الانبياء المختارون المؤيدون بعناية الله ورعايته ؟ واذا صح أن لوطاً كان لا يعي شيئا حتى لم يقدر أن يميز بناته من غيرهن فكيف أمكنه مجامعتهن والحالة هذه مع العلم بأن الانسان اذا اشتد سكره الى درجة عدم تمييز بناته ومعرفتهن وفقد شعوره حتى لم يعلم باضطجاعهن ولا بقيامهن كما قال سفر التكوين (١٩: ٣٣ و٣٥) فلا يقوى على أي عمل أو أي حركة مقصودة . إذاً لوط مازنى إلا بعلمه وارادته وانما كان تأثير الخمر عليه — كعادتها — انها جرأته على ارتكاب اكبر جريمة وأضعفت قدرته على مقاومة شهوته هذه البهيمية (بل الأحط) واذاً فهو مسؤول عما اقترف كما في قوانين الامم الراقية. ومن أعجب العجائب أنه مع علمه بذنبه هذا ومعرفته لابنته — كما يفهم من زناه بها في أول ليلة وشعوره بأنه لم يقدر على مقاومة نفسه بسبب تأثير الخمر عليه — عاد في الليلة الثانية فسكر مع ابنته الاخرى وزنى بها أيضاً وافتضها كالاولى ! ! فلم كال الله له بغير ما كال به لقومه ولم يخسف به الارض مثلهم مع أن اثمه اكبر وجرمه أفظع ؟ أفلا تنفر النفوس من مثل هؤلاء الانبياء وهم أنفسهم لم يعملوا بما يعظون به غيرهم ؟ ثم ألا تضيع بذلك الفائدة من بعثتهم ؟ فالحق ان هذه القصص مستحيلة على أنبياء الله بل على فضلاء البشر ولولا ذلك ما سمى كتابهم لوطاً بارا تقيا كما سبق ، وانما اخترع اليهود هذه القصص تبريرا لشرورهم الكثيرة وعصيانهم لله مرات عديدة واعتذارا بها عن جرائمهم وآثامهم المتكررة فكأن كاتبها يقول : « إذا كان أنبياء الله لم يقووا على الاستقامة فكيف يقوى امثالنا عليها ونحن أضعف منهم طبعاً =

وهرون (خر ٣٢ : ١ - ٦) (١) وداود (٢ صم ١١ : ٢ - ٢٧) وسليمان (١ مل ١١ : ٥ و ٦) وغيرهم من أنبياء الله الامناء الطاهرين الذين أقامهم الله ليكونوا قدوة حسنة ومثالا صالحا للناس. فهل قدرة الشيطان عندهم وصلت الى حد أن تلب على الله = وكيف بعد ذلك يطالبونا بالصلاح والتقوى أو يلومونا على العصيان والفسوق ؟ واذا كان الله غفر للانبياء هذه الجرائم كلها ولم يغضب عليهم ولم ينبذهم نبذ النواة بل رضي عنهم فلم لا يرضى كذلك عن اليهود ويغفر لهم كل ما اقترفوه ؟ » هذا وغيره - كما يأتي - ربما كان هو العامل لكتاب اليهود على افتجار هذه الاقاصيص واختراع هذه الاكاذيب لارضاء أمتهم وملوكهم الفاسقين، ومكانها من الصحة لا يخفى الا على من نقد كل غيز فكاتبها انما هو دساس فاسق يريد بها غالبا ترويج الفسق والفجور واشاعة الفاحشة في الصالحين وستر قبائحه وقبائح قومه واسكات اللائمين. فهذه يا قوم احدى قصص هذه الكتب التي يقولون انها لا تنشر الا الفضيلة بين الناس!

وقال العلامة «لينج» في كتابه {الاصول البشرية} صفحة ٨٧ ما مضمونه أن السبب الذي حمل اليهود على افتجار قصة لوط هذه هو بغضهم الشديد لنسله الموآبيين والعمونيين مع انهم أقاربهم، فقد كانت العداوة بين الفريقين شديدة جدا ومتأصلة فيهم من قديم الزمان كما لا يخفى على المطلعين على كتب اليهود (أنظر مثلا تث ٢٣ : ٣ - ٦)

(١) اذا أردت الاطلاع على الجواب تفصيلا عن شبهتهم في لفظ «السامري» الوارد في القرآن أنه هو الذي صنع العجل فاقرأ مقالات «القرآن والعلم» في المنار مجلد ١٩ جزء ٤ صفحة ٢٨٦ وكذلك كتاب «الدين في نظر العقل الصحيح» صفحة ١١٤ - ١١٦، وص ٩٨ و ٩٩ من الجزء الاول من كتاب «الهدى الى دين المصطفى» لأحد علماء الشيعة المحققين

وملخص الجواب وأحسنه : أن تعريب لفظ «شمرون» العبري (بكسر الشين وبضمها كما في يش ١١ : ١ و ١ مل ١٦ : ٢٤ و ١ أي ٧ : ١) هو سامر أو سامرة، فالسامري (وبالعبرية شمروني بكسر الشين) هو أحد الشمرونيين (عد ٢٦ : ٢٤) أولاد شمرون بن يساكر بن يعقوب (تك ٤٦ : ١٣) وكانوا من عشائر بني اسرائيل المعدودين في الجند على عهد موسى عليه السلام وخرجوا معه من أرض مصر (أنظر تك ٤٦ : ٨ و ١٣ وعد ٢٦ : ٤ و ٢٤) فالسامريون الذين منهم سامري القرآن هم أولئك الشمرونيون، لا السامريون الحاضرون الذين وجدوا بعد موسى بقرون. واعلم أن لفظ (شمرون) بكسر الشين =

غرضه أيضا في ذلك كما قلبه عليه مرارا في غير ذلك مما بيناه آنفا (راجع ص ١٢٣

= وورد في كتبهم علما لشخص « كما في ١ أي ٧ : ١ » واسما لمدينة « كما في يش ١١ : ١ و١٩ : ١٥ » و(شمرون) بضم الشين وردت اسما لجبل ولمدينة كما في « ١ مل ١٦ : ٢٤ » وكلا اللفظين من مادة واحدة في العبرية ومعناها « الحفظ » وربما كان ضبطها في الاصل واحدا فأخطأوا فيه على مر الازمان وخصوصا لان جمهورهم كان قد نسي اللغة العبرية القديمة بعد سبي بابل « أنظر نح ٨:٨ » وهذا الضبط « الشكل » الحالي لم يكن عندهم قديما بل أحدثوه بعد المسيح بقرون ، واذا صح فلا يمنع مما ذكرنا ، وليس هذا التعريب المذكور هنا ببدع في اللغات ، ألا ترى أن الافرنج تسمي « جبل طارق » مثلا في لغاتهم جبرولتار (Gibraltar) وكان العرب يستبدلون في لغاتهم « شين » العبري المعجمة « بالسين » المهملة ، حتى أن أهل الكتاب « اليهود والنصارى » يعربون شين العبرية سينا فشمرون « بضم الشين كما في ١ مل ١٦ : ٢٤ » يسمونها السامرة ، وكذلك موشى « بالشين » موسى و (يشوع) يسوع أو عيسى كاسماه القرآن الشريف وكما هو في اللغة اليونانية وغيرها ايسوس (Iesous) وفي الانكليزية جيسس (Jesus) ويسمي الافرنج ايضا شمرون هذه ساميريا (Samaria) فكل اللغات تتصرف بالاسماء المنقولة ، فلم يستبيحون لأنفسهم وللناس ذلك ولا يبيحون للقرآن أن يسمي أحد « الشمرونيين » بالسامري وهو من التعريب المعروف في لغته

فان قيل : اذا كان هذا الرجل معروفا شهيراً بين بني اسرائيل حتى اذا أطلق لفظ السامري" في زمنه فلا ينصرف الا اليه فلماذا لم تذكره كتبهم ؟

قلت : الظاهر أن كتبهم ـ مع طولها ولغوها ـ لم تستقص كل شيء فكم من أشياء تُرك ذكرها فيها لسبب ولغير سبب ٠ ألا ترى أن بولس ذكر في إحدى رسائله أن ينيس ويمبريس قاوما موسى « ٢ تي ٣ : ٧ » ولا وجود لهذين الاسمين في الاسفار الموسوية أو غيرها مطلقا ولا تعرفهما اليهود ، وكذلك ذكر يهوذا في رسالته أن ميخائيل خاصم ابليس بخصوص جسد موسى « عدد ٩ » وأن أخنوخ تنبأ عن مجيء الرب مع قديسيه « عدد ع ١٤ » ولا وجود لشيء من ذلك في باقي أسفار كتابهم المقدس

فهل يدل هذا على كذب بولس ويهوذا ؟ فالحق أن اليهود لم تخص السامري هذا بالذكر لأنهم أرادوا أن ينسبوا لهارون عمل العجل كما نسبوا لسليمان الكفر وكما نسبوا لغيرهما مانسبوا ، ولم يعمل السامري شيئاً آخر يميزه قبل ذلك أو بعده =

من هذه الرسالة وص ١٠٩ و١١٠ من رسالة الصلب) حتى جعل الذين أراد الله أن يكونوا مثالا حسنا للناس وهداية لهم وقدوة صالحة جعلهم شر الاشرار فأتوا من الشرور ما تنفر منه طباع أحط البشر أخلاقا كزنا الانسان ببناته ! ! وكيف يقبل الناس على تعاليمهم بعد فعالهم هذه ؟ وكيف سردت كتبهم أكثرها كما قلنا بطريقة لا تشعر بشناعتها ولا ببشاعتها ولا بالانكار على فاعلها ونبذه كنبذ النواة ! ؟ راجع كتاب دين الله (ص ٦٧ - ٧١) ثم راجع أيضا قصة داود وسليمان مع شمعي بن جيرا (في ١ مل ٢ : ٨ و٩ و٣٦-٤٦) وفيها ترى أن داود وهو على سرير الموت يوصي ابنه سليمان بقتل هذا الرجل (شمعي بن جيرا) بعد ان أقسم له بالله أنه لا يقتله فسلط ابنه عليه وهو محتضر . وسيرة داود عندهم معروفة مشهورة وقساوته وظلمه لا مثيل لهما (حاشاه) حتى أنه نشر أسرى بني عمون بالمناشير ونوارج الحديد والفؤوس (٢ صم ١٢ : ٣١ و١ أي ٢٠ : ٣) وسيرهم في أتون الآجر أي أحرقهم بالنيران (راجع كتاب دين الله ص ١٢٥ و١٢٦) وداود هذا هو الرجل الذي نصت كتبهم على أنه كان بارا ولم يعص الله قط الا في مسألة أوريا وزناه بزوجته وتحريضه للقتل بكتاب أرسله معه وهو لا يعلم ما فيه فقال سفر الملوك الاول (١٥ : ٥) عنه (لان داود عمل ما هو مستقيم في عيني الرب ولم يحد عن شيء مما أوصاه به كل أيام حياته الا في قضية أوريا الحثي) (١) وهو صريح في أن الله راض عن داود

= حتى يذكروه به في غير هذا المقام ، فلما طال عليهم الأمد نسوا قصته الا قليلا منهم فان الظاهر أن القرآن لم يخالف في ذلك بعض روايات أهل الكتاب من العرب وهي التي كان يرويها عنهم ابن عباس وغيره كما في التفاسير ولذا لم يسمع انهم انتقدوا عليه هذه القصة ولو خالفهم لانتقدوها عليه كما انتقدوا عليه قوله عن مريم إنها أخت هارون وغير ذلك (راجع كتاب « الجواب الصحيح » لابن تيمية جزء ١ ص ٧٠-٧٣) على أن من راجع ما يكتبه الآن علماء الافرنج في كتبهم المقدسة علم أن هذه الكتب أصبحت مشكوكا فيها لدرجة أن الانسان لا يصح له أن يجزم بأي خبر فيها ولو كان مما يتوهمه متواترا بين أهل الكتاب إذ لا شيء متواتر بينهم ، ولا مقطوع بصحته ، ولا مجزوم بأصله وحقيقته الا القليل فذكرها الشيء وعدمه عندنا سيان

(١) حاشية : يقتضي هذه العبارة تكون جميع أفعال داود الآتية وغيرها مرضية =

في كل أعماله السيئة الشنيعة القاسية الا مسألة أوريا وهم لا يزالون يرتلون مزاميره و يعبدون الله بها !! فما بالهم الآن يطعنون على محمد لجهاده الاعداء الذين أذوه وآذوا أمته وفعلوا بهم من الاضطهاد والقتل ما فعلوا . أما اغتياله لبعض أعدائه المحاربين له ولأمته فقد تكلمنا عليه في كتاب « الاسلام » ص ٥٨-٦٠ (راجع أيضا كتاب « صدق المسيحية » في الانكليزية ص ٢٥١ و ٢٥٢ ففيه كلمة في هذا الموضوع دفاعا عن كتبهم الآمرة بإبادة الكنعانيين (١) يصح أن تكون أيضا دفاعا عن الجهاد

= عند الله وكانها مستقيمة في عيني الرب وطبق وصاياه، فمن ذلك مافعله ببني عمون كما ذكر في المتن وقتله ٢٠٠ من الفلسطينيين ليتزوج ابنة شاول مع ان شاول طلب منه قتل ١٠٠ فقط (١ صم ١٨: ٢٥ و ٢٧) وتعليمه يوناثان أن يكذب على شاول (١صم ٢٠: ٦) وكذبه على أخيمالك الكاهن (١صم ٢١: ٢) وشكره الله على موت نابال لكي يتمكن من زواج امرأته المسماة أبيجايل لانها جميلة الصورة (١صم ٢٥: ٣٠ و ٣٩) وكذبه على أخيش بعد قتله الرجال والنساء (١صم ٢٧: ٩-١١) ووصيته وهو محتضر لابنه بقتل رجل أقسم له بالله أن لا يعاقبه على ما فعل (١مل ٢: ٨ و ٩) وزواجه بنساء كثيرة واتخاذه سراري عديدة (٢ صم ٥: ١٣) وحزنه على امنون ابنه حينما قتل وبكاؤه من أجله بكاء مراً كل يوم مع انه فسق بأخته ابنة داود أيضاً وافتضها كرهاً وهي عذراء بعد ان خدعها خدعة دنيئة « ٢صم ١٣ » فخالف داود بذلك أمر الله القاضي بقتله « لا ٢٠: ١٧ » حتى انه لم يرد أن يحزنه لانه بكره كما في الترجمة السبعينية « ٢صم ١٣: ٢١ » وحقد على ابنه « أبشالوم » الذي قتل امنون هذا انتقاماً لاختهما حتى طرده داود بعد رضاه بعودته اليه ولم ير وجهه مدة سنتين « ٢صم ١٤: ٢٤ و ٢٨ » قارن ذلك بفعل عمر بن الخطاب الذي جلد ابنه حتى مات لزناه وهو غير محصن بامرأة فلم يشفق عليه ولم يرحمه حتى أنفذ فيه حكم الله (راجع أيضا كتاب « التوراة غير موثوق بها » في الانكليزية ص ١٠٢ و ١٠٣) فكيف رضي إلههم لداود عن كل ذلك وغيره ولا يرضى الله تعالى لمحمد تعدد الزوجات القليل وغيره مما ينتقدونه عليه ؟ ! ولم يريدون ان يكيل تعالى لعباده بمكيالين ؟ ولو فرض جدلا ان النبي « ص » كان خاطئاً في شيء ما فالله تعالى قد طالبه مراراً في القرآن بالتوبة والاستغفار لذنبه ولم يقره على خطأ ما ، =

« ١ » راجع مثلا سفر التثنية « ٢٠ : ١٦ » تجد فيه الامر بإبادة ست أمم حتى نسائهم وأطفالهم

وقتل الاعداء ولو غيلة) وكان لداود أيضا نساء عديدة وامتن الله عليه باعطائهن اياه (٢ صم ١٢ : ٨) فما بال النصارى لا يرون الخشبة في أعينهم و يرون القذى (ان سلم انه قذى) في أعين غيرهم ؟ ! فتراهم يستحسنون كل ذلك ويجعلون المسيح المثال الاكمل للبشر على ما وصفته كتبهم به مما سبق ذكره ، وأما محمد فينبذونه و يستقبحون أعماله وهو الذي أصلح العالم كله وخلصه من الشرك والوثنية وعبادة البشر والصور والصلبان والاصنام ودعا بوحي الله الى كل خير وحرم الخمر بتاتا وأمر باجتناب كل شر وضر وأتى بمكارم الاخلاق الصحيحة قاطبة وفرض على أتباعه الصلوات الخمس وحث على قيام الليل في عبادة الرحمن وأوجب الصوم والزكاة وفعل كل خير بالايتام والفقراء وأبناء السبيل والاسرى والرقيق وغير ذلك مما فصلناه في كتبنا « الدين في نظر العقل الصحيح » و « الاسلام » و « دين الله في كتب أنبيائه » وغيرها ، وأصلح حال المرأة اصلاحا لم يسبقه به أحد ، ودعا للعمل للدنيا والآخرة كقول القرآن (ولا تنس نصيبك من الدنيا) وغيره مما ذكرناه سابقا . ثم إنك ترى ان جميع تعاليمه عالية وصالحة لخير هذا المجتمع ولا تزيده الا عزا ورفعة وعلما وتقدما ومدنية وهي بعيدة عن كل عيب أو غلو أو استحالة . ولا يرد علينا بحال المسلمين اليوم فان الاسلام (كما في القرآن والسنة النبوية) غير مسلمي هذا الزمان وفقهم الله لمعرفة حقيقة دينهم التي أخفاها عنهم الجهل والتقليد . ومن تمسك بحال مسلمي اليوم فهو كالمتمسك بحال نصارى القرون الوسطى أو نصارى الحبشة ونحوهم الآن مستدلا على قبح المسيحية وانحطاطها ، فهل هذا من الانصاف والعقل في شيء ؟ !

= فأي الالهين أطهر وأقدس ؟ اذا صح أن الهنا غير الههم كما يتبجح بذلك الآن متعصبو المبشرين منهم . على ان محمداً صلى الله عليه وسلم ما ارتكب صغيرة ولا كبيرة قط إلا هفوات بسيطة لا يخلو منها بشر وهي المسماة بالذنوب في القرآن على حد قول القائل « حسنات الابرار سيئات المقربين » وعدم ذكر مثلها لغيره من الانبياء كشعيب وهود وصالح وعيسى ويحيى وزكريا وغيرهم سببه أنه لا فائدة من ذكرها بالنسبة لهم بعد أن انقضى زمنهم ولان القرآن لم يأت بدقائق تواريخهم كلها إلا ما كان فيه عبرة لنا ولا يخفى ان عدم الدليل لا يدل على عدم المدلول . أما ذكرها بالنسبة لمحمد « ص » فهو لارشاده وتأديبه وتكميله ولتعليم أمته وهدايتها لما فيه الخير والصلاح ولولا هداية الله لفضل محمد كثير ممن من قومه وضلت أمته معه فله الحمد هادي الضالين ورب العالمين

﴿ تذييل للفصل السابق ﴾

﴿ في النبيذ عند العرب ﴾

ننقل هنا ما يأتي بحروفه عن كتاب « الهدى الى دين المصطفى » لاحد علماء الشيعة المحققين بالعراق، قال حفظه الله في صفحة ٦٨ — ٧١ من الجزء الاول :

ان المتكلف (يريد صاحب « كتاب الهداية ») كان شاعرا بما في كتب العهدين من تلويث قدس الانبياء وخصوصا المسيح بشرب الخمر فحاول أن يموه على البسطاء المغفلين و يلوث قدس خاتم المرسلين بشربها فتشبث لذلك بأخبار آحاد لم يتحقق سندها ولم يفهم مدلولها ، ولو أنها صحت وكانت لها مداخلة فى أصول الدين لكانت أجنبية عن مقصوده المتشبث عليه

فقال فى الهداية (ج ص ١٣ ان محمدا شرب الخمر — وذكر عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى السقاية فى مكة وقال اسقوني من هذا فقال العباس ألا نسقيك مما فى البيوت ؟ فقال صلى الله عليه وآله: لا ولكن اسقوني مما يشرب منه الناس ، فأتي بقدح من نبيذ فذاقه فقطب ثم قال هلموا وصبوا فيه الماء ثم قال زد فيه مرة أو مرتين أو ثلاثا ثم قال اذا صنع أحد منكم هكذا فاصنعوا به هكذا

وذكر عن ابن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وآله عطش وهو يطوف بالبيت فأتي بنبيذ من السقاية فشمه ثم دعا بذنوب (أي دلو) من ماء زمزم فصب عليه ثم شربه فقال له رجل أحرام هذا يارسول الله ؟ فقال لا

وقد غفل المتكلف أو تغافل عن ان اسم النبيذ مأخوذ من النبذ وهو الطرح . وقد كان النبيذ على قسمين « احدهما » ان يطرح التمر أو الزبيب في الماء في الاواني التي تصبر على التادي الى ان يبلغ حد الاسكار كأواني الدباء وهو القرع اليابس ، والمزفت وهي أو ان تطلى بالزفت ، والحنتمة وهي أوان خزفية تدهن بالقلي ، ونحوها فيترك زمنا طويلا الى ان يبلغ حد الاسكار « وثانيهما » ان ماء الحجاز كان مرا مغبرا فيطرح فيه لمداواة طعمه وطبعه ما يتمكن الاعرابي منه في ذلك الزمان وهو

قليل من التمر فان ترق فالزبيب بمقدار الكف أو أقل يطرحونه في السقاء غدوة فيشربونه عشيا ويطرحونه عشيا فيشربونه غدوة حينما يؤثر طعم التمر أو الزبيب في الماء حلاوة ما . وقد تضافرت الاخبار الكثيرة بان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان ينهى عن نبيذ الدبا والمزفت والحنتمة بسبب انه يصير عليه حتى يبلغ حد الاسكار ورخص في نبيذ الاسقية وهو ان يطرح في السقاء كف ونحوه من التمر او الزبيب فيشرب في يومه أو صبيحة ليلته حينما يطيب طعم الماء بحلاوة التمر أو الزبيب ، لأن اسقية البيوت لا تحتمل ان تشغل زمنا طويلا بالنبيذ ، ولا تقوى على بقائه (١) الى ان يختمر و يتعفن و يبلغ حد الاسكار» انظر الى مسند احمد وغيره من كتب الحديث»

فعلى المتكلف في تشبثه بما ذكر من الحديثين ان صحا في الجامعة الاسلامية (يعني اجماع المسلمين) ان يبين دلالتهما على ان النبيذ المذكور فيهما كان من القسم المسكر المخمر لا الذي ذكرنا انه يطرح فيه قليل من التمر أو الزبيب لمحض تطييب طعم الماء على عادة أهل الحجاز - » ـ ونحن نقول ان المتعين كون النبيذ فيهما من هذا القسم لا القسم المسكر لوجوه (أولها) انه لو كانت في مكة مصانع للنبيذ المسكر كمصانع أوربا لما وسعت كفاية الألوف العديدة من الحجيج في الايام الكثيرة وهو يعطى مجانا لهم ، وكيف يقوى العباس على ذلك ؟ (وثانيها) ان السقاية في مكة كانت لإرواء الحجيج من العطش لا أنها حانوت خمار (وثالثها) ان هذه الواقعة ان كانت فانما تكون بعد فتح مكة في أواخر أيام النبي (ص) ومقتضى الاخبار التي يذكرها المتكلف (الهداية ١ ج ص ٢٣ و٢٤) ان الخمر حرمت في اوائل الهجرة . وفي ما ذكره عن ابن مسعود ان رسول الله (ص) قال فيما شربه انه ليس بحرام، مع ان حرمة النبيذ المسكر كانت حينئذ مقررة معلومة في الاسلام (ورابعها) الذي يكشف الحجاب ما صح نقله عن جعفر الصادق وهو الأمام السادس من أهل البيت حيث قال في نبيذ السقاية . ان العباس كانت له حبلة

(١) يعني أنها تنفجر غالبا من الغاز الذي يتولد من الاختمار كما هي العادة اذا اختمر ماء الزق اختمارا شديدا وكان الزق قديما مستعملا من قبل كثيرا في البيوت كما يعرف ذلك يسوع نفسه ويضرب به المثل لكثرة مشاهدته لصناعة الخمر وممارسته لها حتى لم تغب عن ذهنه ولا في وقت تعليم الناس ولم ينس لذة العتيق منها !! حاشاه (راجع انجيل لوقا ٥ : ٣٧ - ٣٩ وغيره من أناجيلهم)

وهي الكرم فكان ينقع الزبيب غدوة فيشربونه بالعشي وينقعه بالعشي ويشربونه غدوة يريد ان يكسر به غلظ الماء على الناس

واما سر تقطيعه صلوات الله عليه في رواية ابن عباس فليس لان النبيذ الذي اعطي له كان من القسم المسكر ، بل لان حلاوة التمر والزبيب كانت زائدة على المتعارف من نبيذ السقية ، فان الحلاوة اذا ظهر أثرها مع مرارة الماء كانت من المرغبات ، فزاد عليها من الماء الى ان ردها الى النحو المتعارف ، وارشدهم الى ان هذا هو الذي ينبغي ان يكون عليه هذا النحو من المشروب لاصلاح طعم الماء . ولو تنزلنا وفرضنا ان النبيذ المذكور في الروايتين كان من القسم المسكر لكانا دليلا على انه صلوات الله عليه كان يعالج المسكر ويشمئز ويقطب وجهه الشريف منه ، ولم يشربه حتى اخرجه عن موضوعه وصورته بارقة الماء الكثير عليه (١)

(١) يقول مؤلف هذه الرسالة : سلمنا صدق هذه الرواية وأن رسول الله شرب — وهو مسافر في الحج وفي الحر الغالب في بلادهم — من هذا الشراب المخفف المشتمل فرضا على أثر من الكحول المتولد من قليل من التمر أو الزبيب ما روى به ظمأه حيث لم يجد ماء صالحاً للشرب سواه ، وهو — على فرض أنه كان متخمراً — أقل في ذلك مادة مما في البيوت لقصر زمن التخمير ، ولذلك أبى أن يشرب مما في البيوت وشرب هذا بعد اضعافه بالماء الكثير . ولا يخفى أن تحريم شرب مثل هذا الشراب المخفف جداً لارواء الظمأ في وقت الحر والسفر والتعب هو لسد الذريعة إن كان يوجد غيره صالحاً وخاليا من كل أثر من الكحول ، وقال الفقهاء إن ما حرم سدا للذريعة يباح للمصلحة فما بالك اذا كان ثم ضرورة حيث لا يوجد ماء عذب غيره ؟ أما من الوجهة الطبية فشرب ما كان به أثر من الكحول في الحر والسفر وبعد التعب لارواء الظمأ هو عند منبه مزيل للتعب ملطف للحرارة ولا ضرر فيه مطلقاً خصوصاً إذا لم يشربه الانسان في حياته إلا مرة أو مرات قليلة جداً في مثل تلك الظروف ولم يعتده في جميع أوقاته كما يفعل مدمنو الخمر

فترى من هذا أن المصلحة بل الضرورة تبيح ما فعله رسول الله إن صح الحديث ، وهو لا ضرر فيه مطلقاً بل هو مما يدل على سماحة الاسلام وانه لا يحرم الا ما كان مضرا أو ما يخشى ضرره فشرائعه ليست عبثا ولا إعناتا ، والا فليخبرنا هذا العنيد =

أفبهذا يتشبث الكاتب و يقول على فيه وبهوى قلمه ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شرب الخمر؟!! وقد فات المتكلف المتشبث أن في أخبار الآحاد التي لا تقوم لها

= أي ضرر في ذلك الشراب والنبي لم يرو أنه شربه أو شرب غيره بعد التحريم الا في هذه المرة حتى في أضعف الاحاديث وأسخفها التي يتمسك بها النصارى عادة في الرد علينا . فاين هذا من سكر أنبيائهم وإسكارهم لغيرهم كما بينا ومن شرب المسيح مرارا الخمر بمقتضى قوله لو ٧ : ٣٣ « لأنه جاء يوحنا المعمدان لا يأكل خبزاً ولا يشرب خمراً فتقولون به شيطان ٣٤ جاء ابن الانسان يأكل ويشرب فتقولون هو ذا انسان أكول وشريب خمر محب للعشارين والخطاة » وهو صريح في اعترافه بشرب الخمر بخلاف يحيى) حتى عيره معاصروه بذلك ، ولو كانوا كاذبين لأنكر عليهم قولهم هذا ولما كانت عبارته كما ترى ، وقد ذكرنا أيضا أنه حول الماء خمراً للسكارى في العرس « يو ٢ : ١٠ » وسقاهم أو أمرهم بشربها « عدد ٨ » وكذلك فرض على أتباعه شربها في العشاء الرباني ولو أنها كانت قليلة إلا أن شربها يتكرر كلما تكرر عمل هذا العشاء لذكراه ، وهو يعمل عندهم كثيراً فيجرهم إلى شربها الكثير وقد كان . وجاء في سفر التثنية ١٤ : ٢٦ قوله « وانفق الفضة في كل ما تشتهي نفسك في البقر والغنم والخمر والمسكر وكل ما تطلب منك نفسك وكل هناك أمام الرب إلهك وافرح أنت وبيتك » وأمرت كتبهم اليهود بتقديمها للرب ، وأمتنت عليهم بانعام الله بها عليهم، وقدمتها انبياؤهم للناس مرات (راجع خر ٢٩ : ٤٠ ولا ٢٣ : ٣ وعد ١٥ : ٥ و ٢٨ : ٧ وراجع أيضاً تث ١٤ : ٢٦ و ٣٣ : ٢٨ و ٢ صم ٦ : ١٩ إلخ إلخ ثم راجع « كتاب دين الله » صفحة ٩٨) فترى من هذا أن النصارى واليهود بمقتضى كتبهم يجب عليهم صناعة الخمر لاحتياجهم إليها في فرائض دينهم ولهم أن يشربوها قليلا أو كثيراً كما شاءوا . فمن يلوم الافرنج إذا على انغماسهم في شربها وكثرة صناعتهم لها وتجارتها حتى وقعوا ويقعون بسببها في كثير من الموبقات المهلكات فلهم العذر في ذلك فان دينهم هو الذي أداهم إلى ذلك كله !

نعم إن كتبهم قد ذمت الخمر والمسكر وشاربهما في بعض المواضع (راجع أمثال ٢٠ : ١ و ٢٣ : ٢٠ و ٣٠ و ٢٢ وأش ٥ : ١١ و ٢٢ ولو ٢١ : ٣٤ وأف ٥ : ١٨) ولكنها عادت فاباحتها كما بينا وهو من عجيب تناقضها واضطرابها بسبب تحريفهم لها في ذلك وغيره اتباعا لشهواتهم ، تعالى الله وحاشا لأنبيائهم أن يبيحوها لهم كما يفترون

الجامعة الاسلامية وزنا مايساعفه على مقصوده بعض المساعفة فقد روى في مسند احمد ان رجلا كان اذا قدم المدينة اهدى لرسول الله (ص) خمرا فقدم مرة ومعه زق خمر ليهديه الى رسول الله (ص) فقيل له ان الخمر قد حرمت. ولكن ماذا يعمل الوهم من هذا الخبر في مقابلة متواترات الآثار ومعلومات السير بأن قدس رسول الله لا تحوم حوله هذه الاوهام، وقد جاء عنه صلوات الله عليه في مستفيض الحديث من طريق أهل البيت قوله (ص) أول ما نهاني عنه ربي شرب الخمر وعبادة الاوثان. وكذلك ان مشركي قريش، والعرب قد تحاولوا في تكذيب رسول الله وكابروا الوجدان وغالطوا العيان بدعواهم انه صلوات الله عليه مجنون، ولو انه صلوات الله عليه كان يمكن ان يرمى بشرب الخمر والسكر ليتيسر لهم ان يقولوا بلا مكابرة للوجدان ان ادعاءه (ص) الرسالة والوحي انما هو من سورة الخمر وعربدة السكر وخيالات الخمار. ولكنه كان صلوات الله عليه ولم يكن لقائل فيه مغمز. فياذا الرشد والفكر الحر الذي لم يستأسر للعصبية والتقليد، سألتك بفضيلة الصدق وشرف النفس هل كان من الرشد وأدب الكاتب أن يتقاضى هذا المتكلف عما لوثت به الكتب الالهامية في ساحته قدس الانبياء وخصوصا المسيح بشرب الخمر وحضور مجالس السكر صريحا ويتشبث لتلويث قدس رسول الله بهذه الاوهام. اهـ

(لها بقية) الدكتور محمد توفيق صدقي

تقريظ المطبوعات الجديدة (*)

كثرت المطبوعات المراد تقريظها وحال ضيق الوقت عن النظر فيها نظر دقة وتزاحمت المواد فلم تدع محلا للاشارة اليها في كثير من أجزاء هذه السنة ونحن نشير الى طائفة منها في هذا المدد وموعدنا للاشارة الى باقيها الاعداد التالية

﴿ البيان السنوي للكلية العثمانية الاسلامية ﴾

(في بيروت سنة ١٣٣٠ هـ سنة ١٩١٢ غ لعامها الثامن عشر)

مازالت الكلية العثمانية الاسلامية في رقي ونجاح حتى نهضت بكثير من الشبان في بيروت الى افق الانسانية الراقية

(*) كتب تقاريظ هذا الجزء شقيقنا السيد صالح مخلص رضا